عهد الخلفاء الراشدين

انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعين للمسلمين خليفة له عليهم، ولم يوص لأحد من أصحابه، فنشأت بعد وفاته مباشرة مشكلة خلافته في حكم الأمة الإسلامية، وقد قامت أزمة سياسية حول موضوع الخلافة وتصارع المسلمون على السلطة، وتألفت عدة جماعات سعت كل منها للحصول على الخلافة لمرشحها.

والخلافة نظام مستحدث أملته الظروف بعد وفاة النبي ﷺ. وهي في مفهومها نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا.[1] أو هي: "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا".[2] والخليفة بهذا المفهوم يجمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، باعتباره إماما للمسلمين ويسهر على تطبيق العدالة وحماية الدين وينظر في مصالح المسلمين الدنيوية.

وقد وضع ابن خلدون خمسة شروط للخليفة وهي: العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء والنسب القرشي، وكذلك الماوردي في كتابه احكام السلطانية يشترط أن يكون الخليفة من قريش. واشتراط النسب القرشي كان بهدف دفع التنازع بين المسلمين لأن القائم بأمورهم، لا بد أن يكون من قوم أولي عصبية قوية. وليس من شروط الخلافة مبدأ الوراثة الذي اعتمد عليه الأمويون والعباسيون وبقية الدول الإسلامية الأخرى التي نشأت بعد الخلفاء الراشدين.

اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة يتولى شؤون المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. وقد وقع اختيارهم على أبي بكر الصديق، وفيها بايعه الأنصار والمهاجرون بيعة خاصة، ثم بايعه المسلمون بيعة عامة في المسجد النبوي. وفي أول خطبة

---

[1] الماوردي، الأحكام السلطانية.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص 386.

له قال: "أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

خلافة أبي بكر الصديق ﷺ

تولى أبو بكر الصديق أمور المسلمين من سنة 11 إلى 13هـ، وأبرز الأحداث التي تميز بها عهده نلخصها فيما يلي:

- **حروب الردة:** حيث تمرد عليه عدد كبير من القبائل العربية التي أعلنت عودتها للوثنية، أو رفضت دفع الزكاة، وظهر في بعض القبائل من ادعى النبوة، فتبعهم عدد كبير من العرب. وعزم أبو بكر على محاربة المرتدين بدون هوادة، وخرج بنفسه للقائهم عندما هاجموا المدينة، وصبر وصابر حتى انتصر عليهم وقهرهم جميعا، وأعادهم إلى حظيرة الدين. وكان خالد بن الوليد من أبرز قادة المسلمين في هذه الحروب.
- **الفتوحات الإسلامية:** بعد الانتهاء من حروب الردة، التفت أبو بكر الصديق إلى الجبهة الخارجية، فجعل من المسلمين جندا لبث الدعوة والجهاد في سبيل الله خارج شبه الجزيرة العربية، وكان قد أرسل –بعد مبايعته مباشرة– أسامة بن زيد إلى نواحي الشام. وكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع عرب الحجاز ونجد "يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة من كل أوب".[1] وكتب إلى خالد بن الوليد الذي كان في اليمامة بعد انتصاره على المرتدين، يأمره بالتوجه إلى العراق التي كانت خاضعة للفرس، فحقق المسلمون انتصارا عليهم في عدة مواقع، أشهرها معركة ذات السلاسل سنة 12 هـ. كما أرسل جيشا آخر إلى بلاد الشام التي كانت خاضعة للبيزنطيين، فحقق المسلمون عدة

[1] البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر)، فتوح البلدان، حققه عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987. ص 149.

انتصارات، منها معركة أجنادين بفلسطين سنة 13 هـ/643م، التي اشتد فيها القتال بين المسلمين والروم، وأبلى فيها خالد بن الوليد يومئذ بلاء حسنا، وانتهت المعركة بهزيمة نكراء مني بها البيزنطيون.

- **جمع القرآن:** وهي من الأعمال المهمة، حيث بعد أن توفي عدد كبير من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم في حروب الردة، قام أبو بكر بجمع القرآن الكريم في صحف بعد أن كان مبعثرا في أصول الجريد وأكتاف الإبل والغنم والجلود، والخزف، وفي صدور جماعة من الصحابة.

خلافة عمر بن الخطاب ﷺ

لما مرض أبو بكر وأحس بدنو أجله، خشي إن هو قبض ولم يعهد بالخلافة إلى أحد يجمع شمل المسلمين ويوحد كلمتهم، عاد الاختلاف بين المسلمين على الخلافة، فيطمع فيهم العدو؛ فأراد أن يحتاط لهذا الأمر تلافيا للأخطار. فأخذ يستشير الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولما وقع اختياره على عمر بن الخطاب، أملى كتاب عهده لعمر على عثمان بن عفان، وهذا نصه: "باسم الله الرحمن الرحيم! هذا ما عهد به أبو بكر خليفة رسول الله إلى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد الله أما بعد فإني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا وإني ما ألوتكم نصحا والسلام".[1]

وبعد وفاة أبي بكر الصديق، تولى عمر بن الخطاب الخلافة، واستمر عهده من سنة 13 إلى 23 هـ. وفي عهده حقق المسلمون انتصارا باهرا على الفرس في معركة القادسية عام 15 هـ، وقضوا على دولتهم، كما انتصروا على الروم في معركة اليرموك في نفس السنة وبموقعة اليرموك انهار سلطان الروم في بلاد الشام، وزحف أبو عبيدة بن الجراح إلى دمشق، واستمرت الفتوحات في السواحل الجنوبية للبحر المتوسط، ففتحوا بيت المقدس بفلسطين سنة 16 هـ، ثم

[1] اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح)، تاريخ، مطبعة بريل، ليدن، 1883. ص 155.

فتح عمرو بن العاص مصر سنة 19هـ، وشرع يتوغل في شمال افريقيا، ولكن عمر بن الخطاب نهاه عن الدخول إلى افريقية، فاضطر عمرو إلى الانصراف والعودة إلى مصر.

كما اشتهر عمر بن الخطاب بتنظيمه الإداري للدولة الإسلامية حيث نظم الخراج وأنشأ الدواوين، مثل ديوان الجند، وبيت المال، وأنشأ المدن مثل البصرة والكوفة بالعراق، واشتهر بعدله بين الناس وشدته مع عماله.

خلافة عثمان بن عفان ﷺ

قُتِل عمر بن الخطاب على يد فيروز، ويلقب أبا لؤلؤة، وهو عبد للمغيرة بن شعبة، ولم يكن مسلما، طعنه بخنجر مسموم ست طعنات إحداهما تحت سرته، وهي التي قتلته،[1] وتوفي في شهر ذي الحجة سنة 23 هـ. وقبيل وفاته رشح ستة من الصحابة لتولي الخلافة، وهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، ومعهم ابنه عبد الله بن عمر، شاهدا وليس له من الأمر شيئا. وأمرهم بالتشاور بينهم، واختيار الخليفة من بينهم.

وبعد نقاش، وأخذ ورد، في الكلام وطرح الآراء بين الصحابة، بايع الناس عثمان بن عفان حتى غشوه عند المنبر.[2] ويذكر ابن كثير أن عليا كان أول من بايع عثمان بالخلافة من أهل الشورى، ويستبعد الروايات التي قيلت في احتجاج علي بن أبي طالب على مبايعة عثمان بن عفان، ويعتبرها مردودة على قائليها وناقليها من الشيعة وأغبياء القصاص.[3]

بعد أن تولى عثمان بن عفان ﷺ أمر الخلافة (23 – 35هـ) استمر في إرسال الجيوش لفتح البلاد ونشر الإسلام، ففي عهده وصل جيش المسلمين إلى خراسان، وأذربيجان، وأرمينية

---

[1] ابن جرير الطبري (أبو جعفر محمد)، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987. مج 2، ص 560.

[2] المصدر السابق، مج 2، ص 580–587.

[3] ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل (ت 774 هـ))، البداية والنهاية، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007. مج 4، ج 7، ص 200.

شرقا، وإلى إفريقية وجزيرة قبرص غربا. غير أن بعض الناقمين عليه وعلى سياسته، انتفضوا ضده وقاموا باغتياله في المدينة المنورة.

خلافة علي بن ابي طالب ﷺ

ثم تولى الخلافة علي بن أبي طالب (35 – 40هـ) حيث تميز عهده باندلاع الفتنة الكبرى، فقامت موقعة الجمل، ثم موقعة صفين التي أدت إلى انقسام المسلمين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن سفيان.[1] وهو ما سنتعرض له في موضوع الفتنة الكبرى.

[1] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط 14، بيروت 1996. ج 1، ص 219.